المحور الاول
الاتجاهات الفردية في تفسير الظاهرة الإجرامية
العوامل الوراثية

تقديم:

مسألة تفسير الظاهرة الإجرامية ليست وليدة العصر الحديث بل دأب على ذلك مفكرين وفلاسفة وأطباء منذ العصر القديم، وأعطوا للجريمة تفسيرات عديدة؛ فمنهم من يُرجعها إلى غضب الآلهة أو قِوى غيبية خفية، لكن بعدما تطور فكر الإنسان بدأ ينزح عن هذه المعتقدات ويرنو إلى المذاهب الفلسفية المتعددة التي حاولت إعطاء تفسير علمي للظاهرة الإجرامية [1].

في مرحلة لاحقة، وتحديد في أوائل القرن التاسع عشر (19) أين تطور البحث العلمي في جميع الميادين؛ منها الطبيعية والطب وكذا العلوم الاجتماعية، وكان لعلم الإجرام نصيب من هذا التطور، فحاول رواده تفسير الظاهرة الإجرامية؛ فمنهم من يحصر دراساته في شخص المجرم وبالتالي يرجعون دواعي الجريمة إلى أسباب بيولوجية عضوية أو عصبية أو نفسانية، ومنهم من يقتصر على الجانب الاجتماعي، أين يرجع دواعي الجريمة إلى أسباب اجتماعية، لكن ظهر اتجاه ثالث نتيجة إخفاق الاتجاهات الأولى المتصلبة لرأيها، وجعلت للظاهرة الإجرامية أسباب مختلفة ومتكاملة، فيكون سببها بيولوجي نفسي واجتماعي في نفس الوقت.

تم التركيز من خلال هذا الموضوع على الاتجاه الفردي للظاهرة الإجرامية، والذي يرجعها إلى أسباب بيولوجية عضوية عصبية ونفسية، وتعد من أقدم النظريات في هذا الاتجاه النظرية البيولوجية في تفسير الظاهرة الإجرامية التي ظهرت مع القرن السادس عشر (16) على يد العالم الإيطالي **"لمبروزو"** الذي حاول إلحاق الجريمة بالتكون العضوي للمجرم، تم تلاه العالم الأمريكي **"هوتون"** الذي أكد على علاقة الخلل الجسدي الناتج عن العوامل الوراثية ودورها في ارتكاب الجريمة، ليلحق بهما العالم الإيطالي **"دي توليو"** الذي له رؤية حديثة في النظرية البيولوجية في علم الإجرام تسمى فكرة الاستعداد السابق للإجرام، وبعيدا عن التكوين العضوي، ظهرا العالم النمساوي **"فرويد"** الذي أرجع الظاهرة الإجرامية إلى أسباب نفسية.

---

[1] جلال ثروت، علم الإجرام وعلم العقاب، دون طبعة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، **2014**، ص **62**.

سيتم شرح هذه النظريات وتقديم أفكار أصحابها مع تقييم كل نظرية بأسلوب علمي سهل.

أولا: تفسير العالم لمبروزو للظاهرة الاجرامية:

في العصر الحديث لم يكن **"لمبروزو"** هو الأول الذي ابتكر فكرة التفسير البيولوجي للظاهرة الإجرامية، بل سبقه إلى ذلك الطبيب النمساوي **"فرانسوا جوزيف جال"** الذي أسس **"النظرية الفرينولوجية" (La Phrénologie)** التي تقوم على إيجاد العلاقة بين الشكل الخارجي للجمجمة وسلوك الإنسان وطباعة، ثم جاء دور الطبيب الفرنسي **"موريل"** الذي صرح جاء بفكرة أن المجرم صورة ناقصة وممسوخة عن الإنسان الأول وكتب كتابا عنوان **"انحطاط الجنس البشري"** وَضح فيه العلاقة بين السلوك الإجرامي والانحطاط الإنساني [2].

ثم ظهر **"لمبروزو"** والذي استعمل صفته كطبيب في الجيش الإيطالي عن طريق فحص المئات من الخسائر، كما أجرى بعد ذلك أبحاثا في المؤسسات العقابية عندما كان طبيبا شرعيا، سنحاول عرض أفكاره وطوائف المجرمين وفقا لنظريته، ثم تقييم ما توصل إليه عند الفقه.

1/ مضمون نظرية لمبروزو:

باستعمال العالم **"لمبروزو"** صفته كطبيب توصل إلى دراسة جماجم الأشخاص الذين نفذت فيهم عقوبة الإعدام وكذلك المئات من المجرمين الأحياء، وقد لا حظ خلال تجربته هذه أن المجرمين يختلفون عن غير المجرمين في بينهم الجسدية والعضوية الداخلية، فالمجرم يتميز بمجموعة من الملامح العضوية والنفسية التي تعود به إلى الإنسان البدائي وكذلك المخلوقات البدائية مثل القردة، وهو ما جعل أعماله لا تتوافق مع مجتمعه الذي يفرض عليه بعض التقاليد والأخلاق التي لا تروق له فتجعله يتور عليها [3].

من بين الخصائص الجسدية والعضوية الداخلية لدى الانسان المجرم عدم انتظام شكل الجمجمة، ضِيق في الجبهة، كِبر حجم الفكين، واختلاف أسنانه، وفَلطحة الأنف أو اِعوجاجه، وكِبر حجم الأذنين أو صغرهما بحيث لا يظهران على النحو العادي المألوف عند

---

[2] عبد العظيم مرسي وزير، علم الإجرام وعلم العقاب، الجزء الأول، علم الإجرام، دون طبعة، دار النهضة العربية، القاهرة، **1991**، ص ص **69 – 71**.

[3] محمد عبد الله الوريكات، أصول علم الإجرام والعقاب، طبعة ثانية، دار وائل للنشر، عمان، **2015**، ص **88**.

الإنسان الطبيعي، وكثافة الشعر، وطول أطرافه سواء اليدين أو الرجلين، وبروز في عَظم الخدين، وقِصر القامة [4].

2/ طوائف المجرمين عبد لمبروزو:

لم يكثف **"لمبروزو"** بدراسة الخلل العضوي لدى المجرم، بل تعدى ذلك إلى دراسة الجانب النفسي وما يتصف به من مظاهر الشذوذ البدني، فقد لاحظ لديهم قِلة الإحساس بالألم، قَسوة المشاعر، عدم الحياء والخجل، وقد تبين له ذلك من الرسوم والوشم الذي يضعه المجرمين على أجسادهم [5]، وهو ما جعله يكتشف طوائف متعددة من المجرمين نشرحهم على النحو المبين أدناه؛

أ/ المجرم بالفطرة:

أول ما برز لدى الطبيب **"لمبروزو"** من خلال دراسة المكونات العضوية للمجرمين هو مكونات المجرم بالفطرة التي تتمثل في حجم الجمجمة، ضخامة العينين، وفلطحة الأنف وغيرها من الخصائص التي ورثها عن الآباء والأجداد رجوعا إلى الوراء إلى غاية الإنسان البداني الأول، فعرف أن مثل هؤلاء هم مجرمون بالفطرة، أو كما سماهم العالم **"أنريكو فيري" المجرمين بالميلاد**، فمن صفاتهم أن لديهم استعداد سابق للإجرام، لا يلجأ إلى الجريمة إلا إذا تمت إثارته، وقد يكون ميالا لارتكاب نوع معين من الإجرام مثل القتل، السرقة، الاغتصاب [6].

ب/ المجرم المجنون:

هو المجرم الذي يرتكب جرائمه بناء على مرض عقلي أصابه بالوراثة، أو خلال مراحل حياته، ويدخل في هذه الفئة المصابون بمرض نفسي شديد مثل الهستيريا أو المدمن على المسكرات أو المخدرات [7].

ج/ المجرم الصرعي:

---

[4] فتوح عبد الله الشاذلي، مرجع سابق، ص **56**.

[5] بشير سعد زعلول، هشام شحاتة إمام، علم الإجرام والعقاب، طبعة أولى، دار النهضة العربية، القاهرة، **2012**، ص **34**.

[6] عبد العظيم مرسي وزير، مرجع سابق، ص **76**.

[7] محمد عبد الله الوريكات، مرجع سابق، ص **90**.

هو المجرم المصاب بمرض الصرع، وهو مرض وراثي يؤثر على الأعصاب والنفس الإنسانية بشكل سلبي، وقد توصل **"لمبروزو"** إلى هذا النوع خلال دراسته لحالة المجرم المسمى **"مسديا"** الذي كان مريضا بالصرع وكان يخدم بالجيش الإيطالي لعدت سنوات، ولما سخر منه أحد رؤسائه ثارت ثائرته وقتل ثمانية **(8)** من رؤسائه، ثم سقط فاقدا للوعي، وعندما أفاق لم يتذكر شيئا مما حدث [8].

د/ المجرم السيكوباتي:

هو مجرم لا يستطيع التكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه بسبب شخصيته السيكوباتية والمزاجية لديه، فلا يجد من سبيل للتعامل مع مجتمعه إلا بارتكاب الجرائم [9].

ن/ المجرم بالصدفة:

هو شخص ليس له استعداد للإجرام، ولكن وقع في ذلك تحت تأثير ظروف مفاجئة غير متوقعة أو مؤثرات خارجية دفعته إلى ارتكاب الجريمة، مثل إدمانه على المخدرات أو المسكرات التي يضعف من ضبط سلوكه [10].

هـ/ المجرم بالعاطفة:

هو مجرم شديد الحساسية، وعصبي، يندفع إلى الجريمة دون إعداد سابق أو تفكير، ولكنه بعد ارتكابه للجريمة يعود إلى حالته الطبيعية ويعترف بفعلته، وقد يلجأ إلى الانتحار كوسيلة للهروب من الوضع الذي وجد نفسه فيه [11].

و/ المجرم بالعادة:

هو الشخص الذي لا يحمل صفات المجرم بالفطرة، إنما توجد بداخله نزعة إجرامية أو ميل إلى ارتكاب الجريمة بفعل الظروف البيئية المحيطة به، ويمتهن الإجرام كحرفة يكتسب منها رزقه [12].

3/ تقدير نظرية لمبروزو:

---

[8] محمد عبد الله الوريكات، مرجع سابق، ص **89**.

[9] جلال ثروت، مرجع سابق، ص **85**.

[10] عبد العظيم مرسي وزير، مرجع سابق، ص **77**.

[11] المرجع نفسه، ص **77**.

[12] محمد عبد الله الوريكات، مرجع سابق، ص **91**.

كان للعالم **"لمبروزو"** الفضل الكبير في إعادة توجيه الباحثين نحو المسببات العضوية والجسدية التي كانت مجهولة لدى العلماء، مما جعله يفتح مجالا جديدا لدى المستغلين بعلم الإجرام نحو الظاهرة الإجرامية، بل كان له السبق في صرف الاهتمام نحو المجرم بدلا من الاكتفاء بالجريمة، أي حاول أن يكتشف الفاعل وعالمه الداخلي المعقد، وهو ما جعل البعض يقول بأن ما توصل إليه **"لمبروزو"** أشبه بالثورة على الأفكار السابقة [13].

ورغم ذلك وجهت لنظرية **"لمبروزو"** عدة انتقادات كان أبرزها؛

ـ قيام **"لمبروزو"** بالربط بين المجرم والإنسان البدائي عند تصريحه بأن الأول يحمل صفات الثاني، وفي ذلك مغالطة فاضحة يرفضها العلم الحديث، لأنها ستقود الباحث المعاصر للقول وأن كل إنسان تتوافر فيه هذه الملامح هو مجرم أو مشروع إنسان مجرم، وهو تأكيد وجزم يـأباه المنطق وترفضه الحقائق الاجتماعية والإحصائيات العلمية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى سيصل الباحث كذلك إلى فكرة أن الإنسان البدائي كله كان مجرما، أي في العصر البدائي لم يكن هناك شخص غير مجرم، وهذا حمتا غير صحيح [14].

ـ قيام **"لمبروزو"** بدراسة حالات فردية وتعميم نتائجها على جميع أفراد المجتمع يخالف الطرق العلمية المتبعة في المنهج التجريبي، ذلك أن آلية التعميم جائزة كمنهج علمي عندما يُعممها صاحبها على مجموعة من الحالات المتشابهة التي تستند إلى سبب واحد، لكن الذي حدث وأن **"لمبروز"** وقام بفحص الحالات الثلاثة وهي **"فيليلا"و "فيرسيني" و"مسديا "** وكَوَن من خلالهما قواعد عممها لكي تصلح على الظاهرة الإجرامية بشكل عام، وهذا خطأ علمي صارخ [15].

ـ عدم استخدام الطبيب **"لمبروزو"** أسلوب **المجموعة الضابطة** بحيث كان عليه أن يلجأ إلى أسلوب المقارنة بين المجرمين الذين قام بفحصهم وغير المجرمين الذي يشتركون معهم في بعض الصفات، وهذا الأسلوب هو الذي تم اعتماده من طرف العلماء بعد نظرية **"لمبروزو"** [16].

ـ إغفال **"لمبروزو"** تأثير العوامل الاجتماعية والبيئية على الظاهرة الإجرامية، واكتفى بدراسة وتأثير العوامل البيولوجية العضوية والعصبية والنفسية، رغم أن للأولى دور بارز في

---

[13] جلال ثروت، مرجع سابق، ص **06**.

[14] فتوح عبد الله الشاذلي، مرجع سابق، ص **60**.

[15] جلال ثروت، مرجع سابق، ص **87**.

[16] محمد محمد مصباح القاضي، علم الإجرام وعلم العقاب، طبعة أولى، منشورات الحلبي الحقوقية، **2013**، ص **51**.

دفع المجرم إلى قيامه بالجريمة، وإن إنكار أي دور للجانب الاجتماعي فيه نقص في النتائج العلمية المتوصل إليها [17].

ـ إن فكرة المجرم بالميلاد ينقصها اليقين العلمي وتبدو مخالفة للمنطق السلم، لأن الإنسان يولد على الفطرة ويتوقف سلوكه فيما بعد على ما يتعلمه داخل المجتمع وعلى ما يقرره المشرع من جرائم تتنوع وتختلف من بيئة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر، وليس كما قال **"لمبروزو"** بأن مجرد حمل صفات معينة تكفي للقول أن هذا الإنسان سيكون مجرما في مستقبله، ونفس الشيء يقال بالنسبة للشخص المريض بالصرع، وبأنه كل مريض مرض عصبي أو مصاب بهذا الصرع سيكون مجرما، فالدراسات الحديثة أثبتت عدم صحة هذا الاستنتاج، وأن نسبة المصابين بالأمراض العقلية قليلة داخل السجون [18].

ـ بالغ **"لمبروزو"** في تعداده للصفات العضوية والجسدية المتواجدة في الجناة، فالواقع أثبت أن الكثير من الناس تتوافر فيهم واحدة أو أكثر من هذه الصفات ورغم ذلك لم يرتكبو جرائم طوال حياتهم، بل نجدهم أكثر الناس انسجاما مع مجتمعاتهم، والعكس صحيح، يوجد بعض الناس لا تتوافر فيهم هذه الصفات وكانوا من أكثر الناس إجراما في المجتمع [19].

يُشير الفقه [20] في النهاية وأن أغلب الانتقادات التي وجهت إلى نظرية **"لمبروزو"** كانت ناتجة عن أفكاره التي أظهرها في كتابة **"الإنسان المجرم"** في طبعته الأولى لسنة: **1876**، ولكنه قد عَدَل من أفكاره ومنحها الكثير من العلمية والواقعية وذلك في أربعة طبعات أخرى، كما وَضَح الكثير من المسائل التي لم تظهر بشكل دقيق لدى الناس أهمها؛ فكرة المجرم بالميلاد، بحيث صرح بأنه الشخص الذي له ميل نحو الإجرام فقط دون أن يكون مجرما فعلا، وبالتالي قد يكون تأثير البيئة الاجتماعية فيه قادرة على تهذيبه وصقله بالشكل الذي تجعله إنسانا سويا.

ثانيا: تفسير العالم هوتون للظاهرة الإجرامية

ينتمي العالم الأمريكي الأنثروبولوجي **"هوتون"** مذهبيا إلى مدرسة **الأنثروبولوجيا الجنائية** التي كونها **"لمبروزو"** بل يُعد **"هوتون"** من أنصاره الذين دافعوا على صحة أفكاره،

---

[17] المرجع نفسه، ص **51**.

[18] محمد عبد الله الوريكات، مرجع سابق، ص **93**.

[19] عبد العظيم مرسي وزير، مرجع سابق، ص **78**.

[20] رمسيس بهنام، الإجرام والعقاب (علم الجريمة وعلم الوقاية والتقويم) دار منشأة المعارف، الإسكندرية، **1978**، ص **36**.

وحاول التأكيد على ذلك مستعملا أسلوبا مغايرا، سيتم شرح مضمون نظريته وأهم النتائج المتوصل إليها مع دراسة تقييمية للعمل الذي قام به.

1/ مضمون نظرية هوتون:

استمرارا للعمل الذي قدمه **"لمبروزو"** قام العالم **"هوتون"** بالتأكيد على صحة أفكاره من خلال دراساته وأبحاثه على نحو **14000** عينة من المجرمين الذين تحصلوا على الإدانة ودخلوا للمؤسسات العقابية بمختلف أنواعها، وقارنها مع مجموعة أخرى من غير المجرمين، لكي يوازن بين خصائص المجموعتين، وهي ما تعرف بـ **المجموعة الضابطة** والتي جمعها من طلبة الجامعات ورجال الشرطة ونزلاء المستشفيات، وقد قارب عدد هؤلاء ربع (¼) المجموعة الأولى، كما حاول أن يوازن في تمثيل البيض والزنوج معا في هذه المجموعة، وانتهى **"هوتون"** إلى جملة من النتائج تمثلت فيما يلي؛

ـ يتميز المجرمون بخلل في تكوينهم الجسدي، سببه الرئيسي يرجع إلى الصفات الوراثية التي جمعها من أسلافه، وأهم هذه الصفات ما يبدو واضحا في شكل العينين والأنف والأذن والجبهة والشفاه، والتي أسماها بمظاهر الشذوذ البدني أو **الانحطاط الجسماني البيولوجي**، والتي تدل على تخلف عقلي يؤثر بشكل مباشر على الاستعداد للجريمة، كما يُفسر في أغلب الأحيان الظاهرة الإجرامية [21].

ـ من جهة أخرى ذهب **"هوتون"** إلى أن الانحطاط الجسماني أنواع مختلفة، وكل نوع تجمعه عناصر معينة تعمل على تصنيف الجرائم التي يرتكبها كل نوع، لهذا نجد منهم من يرتكب جرائم الأموال، ومنهم من يرتكب جرائم العرض وهكذا [22].

2/ تقييم نظرية هوتون:

يبدو بشكل جلي مدى تأثير العالم **"لمبروز"** وعلى تلميذه **"هوتون"** خاصة في أخذه بفكرة المجرم بالميلاد والذي تحمل صفات موروثة عن أسلافه، لكنه تجنب النقد الذي وجه لأستاذه، واستعمل المجموعة الضابطة، أي جعل أبحاثه لا تكتفي بدراسة حالات المجرمين، بل كذلك على نظرائهم من غير المجرمين ووضع تنويع للفئات من الزنوج والبعض.

---

[21] عبد العظيم مرسي وزير، مرجع سابق، ص **82**.

[22] فتوح عبد الله الشاذلي، مرجع سابق، ص **62**.

ـ لكن يعيب على **"هوتون"** أنه لم يوفق في اختيار العينة محل الدراسة والتي أخذها كلها من المساجين، رغم أن غالبية المجرمين لم يدخلوا المؤسسات العقابية، كما لم يوفق كذلك في اختيار المجموعة الضابطة والتي أختارها من الطلبة الجامعين ومن رجال الشرطة ومن نزلاء المستشفيات ظانا منه أن هؤلاء ليسوا مجرمين أو ليس منهم من مارس الإجرام، وهذا استنتاج غير صحيح، فالمسلمة التي انطلق منها بشأن عدم ارتكابهم جرائم هي مسلمة خاطئة علميا [23].

ـ وقوعه في نفس الخطأ الذي وقع فيه العالم **"لمبروزو"**، وهو اعتقاده أن الإجرام سببه فقط العوامل الموروثة متجاهلا دور البيئة الاجتماعية والنفسية على سلوكات المجرمين، بل إن نتائج أبحاثه تفتقر إلى الدليل العلمي على ما أسماه الانحطاط البيولوجي [24].

ـ قيام العالم **"هوتون"** بتقسيم المجرمين تبعا لنوع الجرائم التي يرتكبونها فيه قصور علمي، ذلك أن هؤلاء الجناة الموجودين في المؤسسات العقابية فيهم نسبة كبيرة من متعودي الإجرام، وهؤلاء قاموا بجرائم مختلفة، منها ما يتعلق بالسرقة وهي من جرائم الأموال، ومنها ما يتعلق بالضرب والجرح وهي من جرائم الأشخاص، ومنها ما يتعلق بالاغتصاب وهي من الجرائم الجنسية، فكيف يمكن تصنيف مثل هؤلاء، وتحت أي طائفة يمكن إدراجهم [25].

ثالثا: تفسير العالم دي توليو للظاهرة الإجرامية:

يُعرف العالم الإيطالي **"دي توليو"** بأنه صاحب النظرية البيولوجية الحديثة في علم الإجرام، وهو أحد تلامذة العالم **"لمبروزو"** ومن أكثر أنصاره إيمانا بدور العوامل الاجتماعية إلى جانب العوامل البيولوجية في تفسير الظاهرة الإجرامية، وهو يعطي الأهمية الأولى بفكرة التكوين الإجرامي، سيتم شرح مضمون نظريته وأهم طوائف المجرمين وفقا للأفكار التي ينادي بها مع دراسة تقييمية للعمل الذي قام به.

1/ مضمون نظرية دي توليو:

يرى العالم **"دي توليو"** بأن الجريمة تقع بناء على توافر عوامل بيولوجية وأخرى اجتماعية، وبما أن العوامل الاجتماعية تقريبا يتعرض لها معظم أفراد المجتمع لكن لا تدفعهم إلى الإجرام كلهم، بل البعض منهم فقط، لذا طرح **"دي توليو"** سؤالا جوهريا، لماذا يندفع البعض فقط من الناس نجو الإجرام رغم أن العوامل الاجتماعية يتعرض لها أغلبهم؟

---

[23] عبد العظيم مرسي وزير، مرجع سابق، ص **83**.

[24] فتوح عبد الله الشاذلي، مرجع سابق، **ص 64**.

[25] محمد عبد الله الوريكات، مرجع سابق، ص **96**.

ثم يجيب بنفسه على تساؤله بأن هؤلاء الذين يندفعون نحو الجريمة يوجد لديهم **استعداد سابق الإجرام** لا يتوافر لدى غيرهم من الأفراد، وبالتالي يُحلل "**دي توليو**" الجريمة إلى تفاعل عوامل بيولوجية وأخرى اجتماعية، وأن المجرم لا يتوجه لارتكاب الجريمة إلا إذا كان له استعداد الإجرام، هذا الاستعداد قد يكون أصيل بحيث تطغى لديه الغرائز الدنيا على الغرائز السامية، وإما استعداد عرضي مكتسب يمكن أن يتحكم فيه الإنسان لأنه ليس قويا [26].

عندما يكون استعداد الإنسان للإجرام أصيل فإن تكوينه للإجرام يكون سببا في الظاهرة الإجرامية، أما عندما يكون عرضيا فإن تكوينه للإجرام يكون مهيأ للجريمة، ومهما كان الاستعداد فلا بد من توافر العوامل البيئية أو الاجتماعية التي تعمل دور الكاشف عن التكوين الإجرامي بالنسبة للفئة الأولى، وتلعب دور المهيأ للجريمة بالنسبة للفئة الثانية [27].

2/ طوائف المجرمين لدى دي توليو:

يقسم العالم "**دي توليو**" المجرمين إلى طائفتين رئيسيتين؛ مجرمون بالتكوين ومجرمون عرضيون؛

أ/ المجرمون بالتكوين:

هؤلاء التكوين الإجرامي لديهم أصيل، وهم أربعة أنواع:

ـ **المجرمون بالتكوين الشائعون**؛ صفاتهم تتمثل في الضعف العقلي وتقلب المزاج، وهم من أخطر المجرمين.

ـ **المجرمون بالتكوين ذو الاتجاه التطوري الناقص**؛ صفاتهم تتمثل في ضعف الفهم والتخيل مع إحساس عاطفي بارد، وأخلاقهم ضعيفة، وصفات جسمية كذلك ضعيفة وناقصة، وهم يشبهون المجرم بالميلاد عند "**لمبروزو**".

ـ **المجرمون السيكوباتيون**؛ صفاتهم تتمثل في ضعف العقل مع المرض النفسي، يرتكبون عادة جرائم السرقة والآداب.

ـ **المجرمون المجانين**؛ صفاتهم تتمثل في حالة الجنون، يندفعون إلى الجريمة بسبب استعدادهم الإجرامي [28].

---

[26] محمد عبد الوريكات، مرجع سابق، ص **97**.

[27] جلال ثروت، مرجع سابق، ص **92**.

[28] المرجع نفسه، ص ص **92 ـ 94**.

ب/ المجرمون العرضيون:

هؤلاء ليس لديهم استعداد للإجرام وإنما كانت الظروف الخارجية بالنسبة لهم مناسبة لارتكاب الجريمة، وهم ثلاثة أنواع:

ـ **مجرم عرضي صرف**؛ يرتكب جرائم بسيطة دفعته إليها ظروف طارئة.

ـ **مجرم عرضي شائع**؛ يرتكب الجرائم التافهة وجرائم الأموال، وقد يرتكب جرائم خطيرة يندفع نحوها بسبب نقص الوازع الأخلاقي.

ـ **مجرم عرضي عاطفي**؛ الحالة العاطفية لهذا المجرم غير متوازنة، غير معروف الاتجاه [29].

3/ تقييم نظرية دي توليو:

نجحت نظرية **"دي توليو"** في انتشارها داخل وخارج إيطاليا، بل أقنعت الكثير من الباحثين في علم الإجرام سواء في ألمانيا أو أمريكا والكثير من الدول العربية، ويرجع ذلك إلى تجاهلها لمنطق التطرق للرأي خاصة ما تعلق بتأثير العوامل الاجتماعية والبيئية إلى جانب العوامل البيولوجية، ورغم ذلك وجهت لها عدة انتقادات تمثلت فيما يلي؛

ـ رغم عدم تطرف النظرية إلا أنها تجعل أساسها في التكوين الإجرامي لدى الجاني وتأثيره على الظاهرة الإجرامية، إلا أن الواقع يبين أن الاستعداد للإجرام غير متوافر لدى كل الجناة خاصة عندما يتعلق الأمر بجرائم بسيطة توجد في بعض التشريعات ولا توجد في تشريعات أخرى.

ـ كما يعيب عليها انكارها للدور المستقل للعوامل الاجتماعية، فهي ترى أنه لابد من توافر العامل البيولوجي، وهذا تحيز واضح وإعدام لدور العامل البيئي الاجتماعي منعزلا رغم أهميته وقوته في التأثير على السلوك الإجرامي، خاصة إذا وقعت الجريمة فجأة دون استعداد سابق أو إذا كانت من الجرائم غير العمدية التي يكون فيها العامل الخارجي واضح [30].

رابعا: تفسير العالم فرويد للظاهرة الإجرامية:

---

[29] جلال ثروت، مرجع سابق، ص **94 ـ 95**.

[30] فتوح عبد الله الشاذلي، مرجع سابق، ص **71**.

بدأ العالم النمساوي **"فرويد"** أبحاثه في التشريح العصبي، وحاول أن يضع نظرية متكاملة لتأثير الجهاز النفسي للفرد على سلوكياته، ومن بينها السلوك الإجرامي، نحاول أن نعرض أفكاره وتفسير الجريمة لديه، وأخيرا تقييم النتائج التي توصل إليها:

1/ مضمون نظرية فرويد:

قبل بيان دور نظرية **"فرويد"** في تفسير الظاهرة الاجرامية لابد من فهم النفس الإنسانية لديه والتي قسمها إلى ثلاثة أقسام أساسية؛

ـ **الأنا الدنيا**؛ وتشمل النفس الشهوانية الموجودة في اللاشعور، وتتضمن الميول النظرية والنزعات الغريزية التي تعمل على اشباع الرغبات دون مراعاة للقيود الاجتماعية التي تفرضها القيم الاجتماعية [31].

ـ **الأنا الشعورية**؛ وتشمل الجانب الشعوري في الإنسان، ويطلق عليه العقل لأنه يمثل الجانب الواعي في النفس، ودوره يتمثل في التوفيق أو الموازنة بين الأنا الدنيا والحياة الاجتماعية التي تقوم على احترام القيم الاجتماعية بسبب ارتباطها الدائم بالواقع [32].

ـ **الأنا الأعلى**؛ وتشمل النفس المثالية أو ما يعرف بالضمير، وتتمثل في الجانب المثالي للإنسان من قيم ومبادئ اجتماعية وأخلاق سامية مكتسبة بفعل تربيته الأخلاقية والمدنية، ويرتكز دورها في توجيه اللوم إلى الأنا الشعورية إذا استجابت للرغبات والميول الذي تفرضها الأنا الدنيا وذلك عند الشعور بالذنب [33].

تفسير السلوك الإجرامي عند **"فرويد"** يرجع لسببين؛ الأول عندما تعجز الأنا الشعورية (العقل) عن تهذيب الأنا الدنيا (النفس) أي لا تنجح في التوفيق بين الميول والرغبات مع القيم والتقاليد السائدة في المجتمع، أما السبب الثاني فيتمثل في انعدام الأنا الأعلى (الضمير) كلية أو عجزه عن أداء دوره في الرفع من مستوى الغرائز البشرية طالما لا يقوم بعمل التأنيب [34].

يشير أغلب الفقه في كتاباتهم [35] إلى أن التحليل النفسي للسلوك الإنساني عند فرويد ـ بما فيه السلوك الإجرامي ـ يتمثل في جملة من العقد أهمها؛

---

[31] بشير سعد زغلول، هشام شحاتة إمام، مرجع سابق، ص **38**.

[32] عبد العظيم مرسي وزير، مرجع سابق، ص **86**.

[33] بشير سعد زغلول، هشام شحاتة أمام، مرجع سابق، ص **38**.

[34] فتوح عبد الله الشاذلي، مرجع سابق، ص **74**.

[35] بشير سعد زغلول، هشام شحاتة أمام، مرجع سابق، ص **39**، فتوح عبد الله الشاذلي، مرجع سابق، ص **75**، جلال ثروت، مرجع سابق، ص **111**.

ـ **عقدة النقص**؛ وتمثل أحد الصراعات بين الأنا الشعورية والأنا الدنيا، يترتب عنه شعور الإنسان بنقص في هيئته أو أعضائه أو مكانته الاجتماعية أو الأسرية أو الاقتصادية، مما يجعله يلجأ إلى تعويض هذا النقض بارتكابه جريمة.

ـ **عقدة أوديب**؛ وهو الميل نحو الجنس الآخر نتيجة العزيزة الجنسية لدى الإنسان التي تبدأ منذ الطفولة، بحيث يميل الطفل الذكر نحو أمه وتميل البنت الأنثى نحو أبيها، ويبدأ كلاهما في الشعور بالمنافسة مما قد يؤدي ـ إذا لم توفق الأنا الشعورية في ضبط هذه المسار مع القيم والتقاليد الاجتماعية ـ إلى ارتكاب الجريمة.

ـ **عقدة التقمص**؛ مثل تقمص الولد شخصية والده أو تقمص أي شخصية مؤثرة بالنسبة له سواء كان فنانا أو رياضيا أو أستاذا أو شرطيا، وفعل التقمص هو عملية لاشعورية تحدث نتيجة ارتباط انفعالي شديد بشخص يتوهم بأنه هو ذات الشخص الذي ارتبط به [36].

ـ **عقدة الذنب**؛ تحدث عندما يتدخل الأنا الأعلى متأخرا بعد ارتكاب سلوك مشين لكونه كان ضعيفا في مرحلة ما، فاستغلت النفس ضعف الرقابة فدفعت بالغرائز والشهوات التي الظهور، فيحس الإنسان بالذنب نتيجة استفاقة الأنا الأعلى، وتظل هذه العقدة تؤثر فيه إلى غاية أن تدفعه إلى ارتكاب الجريمة متحررا بذلك من الشعور بالذنب [37].

بالنتيجة تقع الجريمة عند **"فرويد"** إما نتيجة تغلب الأنا الدنيا على الأنا الأعلى أو بسبب أي عقدة من العقد المشار إليها أعلاه.

2/ تقييم نظرية فرويد:

تعد نظرية **"فرويد"** سابقة علمية لم يلتفت إليها رجال العلم من قبل وهي التحليل النفسي للسلوك الإنساني وللظاهرة الإجرامية على وجه الخصوص، فلقد فتحت هذه النظرية أفاق البحث في السلوك الإجرامي في جانب خفي من الإنسان ولكنه مؤثر جدا، وكان لابد من التفكير في العلاج للخلل النفسي الذي يدفع الفرد نحو ارتكاب الجرائم.

ومع ذلك قيل بعض النقد عن هذه النظرية أهمها؛

---

[36] جلال ثروت، مرجع سابق، ص **112**.

[37] فتوح عبد الله الشاذلي، مرجع سابق، ص **76**.

ـ بالغ العالم **"فرويد"** في ربط الجريمة بالخلل النفسي لدى الإنسان وكأنه حتمية، والحال أن الكثير من الناس يكونون مختلين نفسيا دون أن يلجؤوا إلى السلوك الإجرامي، وبالتالي نجد أن **"فرويد"** يتوجه بنظريته نحو السلوك المريض وليس السلوك الإجرامي [38].

ـ في الحقيقة وجدت نظرية **"فرويد"** إشكالا جديا مع الإثبات العلمي، فمن الصعب إثبات ما توصل إليه خاصة في فكرة تقييم الأنا، وكذا العقد التي تحدث عنها، ناهيك على عجز هذه النظرية عن تفسير كل السلوك الإجرامي، فتوجد مسببات أخرى لا يمكن تجاهلها خاصة العوامل الاجتماعية المحيطة بالإنسان المختل نفسيا أو الإنسان العادي [39].

ـ يعيب على نظرية **"فرويد"** جعل سبب السلوك الإجرامي هو النزاعات الغريزية الموجودة في اللاشعور منذ أيام الطفولة الأولى وجعل الغريزة الجنسية (عقد أوديب) هي سبب هذه المشاكل، لكن هذه العقدة لا تصلح لتفسير كل الظاهرة الإجرامية، وهذا يعيق سُبل العلاج طالما أنه محتوم التصرف نتيجة الدوافع الجنسية المسيطرة عليه، وبالتالي تكون الجريمة ظاهرة حتمية في حياة هذا الفرد ولا أمل في علاجها [40].

---

[38] عبد العظيم مرسي وزير، مرجع سابق، ص **93**.

[39] فتوح عبد الله الشاذلي، مرجع سابق ص **77**.

[40] عبد العظيم مرسي وزير، مرجع سابق، ص **94**.